قصة

غَزْوَة

جاسم سلمان

الكاتـــب

جاســم سلمــان

التدقيـق اللغــوي

أ. محمـد عبـد الله

رســـم

عبـد الأميــن

التنضيـد والإخـراج الفنــي

الناشـــر

هيئة اليد العليا

١

على شاطئ البحر ترعرع مع الرهبان، هو يوسُف ابن السبعة عشرَ حولًا، ناسكًا مسلكه وناذرًا عمره لربه، مسكينًا مستكينًا عند مذبحه وحاملًا صليبه أينما خطت قدماه.

كان يوسف متعلقًا بالكتاب المقدس، كلام الرب كما أحبَّ أن يسميه، ولم ينفك عن قراءة آيات الدينونة والقيامة، يوم يأخذ الإله حقَّه على عباده.

وفي يوم عصَف الغيم، وصرخ الرعد، وتلاطم الموج مهتاجًا وهائجًا، اسودَّت السماء، ولاحت نارٌ مشتعلة من بعيد..

خرج الرهبان من مهاجعهم خائفين، فمنهم من هرب طالبًا النجاة بحياته خائنًا وعوده لربه، ومنهم من انكفئ للصلاة..

وكان أحدهم يوسف الذي احتضن الكتاب الأقدس عنده، ثم فتح الكتاب إذ يرى أمام عيناه:

"تزول السماوات بضجيج، وتنحلُّ العناصر محترقةً، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها".

إنها رسالة بطرس الثانية..

٢

ليث، عشرون ربيعًا في القفراء الوثنية، وها قد شَبَّ بما يكفي لركوب مراكب الغزوات.

دعاه أخاه (حرب) إلى الحرب، وقد كان حرب مقاتلًا شرسًا لا أخلاق له، واعتاد على المعارك طوال حياته حتى باتت بالنسبة له نزهةً قصيرةً يحضرها للتسلية!

بالرغم من أن ليث لم يكن معجبًا بأخاه حرب إلا أنَّه رغب في خوض هذه المغامرة إثباتًا لرجولته أمام أهله.

استعد الشبان للمغادرة وصرخ المنادي بصوتٍ خشنٍ:

"من أراد القدوم فليركب، ومن أراد القعود عليه آثام العرب"!

يومان في عرض البحر، فعاصفة تهيج بهم، ومن العتمة أشعلوا النار لعل يتبين لهم طريقهم، حتى بانت الأرض لهم، إنها قرية دير الرهبان..

نهض المقاتلين مكشِّرين عن أنيابهم تجاه من قاوم في الدير، وأسروا خمسةً الآخرين، حتى وصلوا للذهب والفضة وتعجبوا:

"ما لهم لا يحرسونها؟ وما هذه القرية الغريبة التي بلا نساء"؟

٣

اقتادوا الرهبان للمركب، ولفت يوسف نظر المحاربين إذ أنه كان الوحيد الذي ينطق بالعربية خلاف الآخرين الذين تهامسوا فيما بينهم بأعجميةٍ غريبة..

"من أنتم؟ ماذا تريدون؟" برجفةٍ قال يوسف.

فنهض له حرب صارخًا به: "أتريد معرفة من نحن؟ ها نحن ذا".

وراح يقتاد الرهبان الأربعة الآخرين كالحيوانات يريد أن يذيقهم حزَّ الحديد على أعناقهم..

فأسرع له ليث يحاول صده عن قتلهم، لكن أخاه رمى به جانبًا وكأنه لم يكن، وراح يرسلهم إلى مذبحهم واحدًا تلو الآخر، ويلقي بجثثهم في البحر..

نظر حرب بوجهه الدامي نحو الراهب.. وقال في هدوء: "عليك ذنب موتهم".

هنا بكى يوسف حتى كاد يموت من شدة المصاب، وانتقل ليث إلى جانبه محاولًا التخفيف عنه طوال رحلة العودة.

٤

حطّ المركب في الديار معلنًا وصول الغنائم وبداية الاحتفالات..
مشى يوسف بخطى مشوشة على الرمال، وهو غير قادرٍ على استيعاب ما قد حصل..
الجميع فرح وسعيد إلا هو، أحس الكون يظلم فكان الوحيد به..
أحس الأصوات من حوله تخفو رويدًا رويدًا.. إلى أن اختفت.
لكن تكرار ليثٍ مناداته لإكمال الطريق قطع عنه هذا الشعور البائس.
مضت الأيام وتوطدت العلاقة بينهما حتى أن ليث أكرم يوسف بعتق رقبته وجعله حرًا، وكذا يوسف علَّم ليث عن أماكن الأديرة المسيحية الأخرى، القريبة من ضفاف البحر، لما حلَّ بينهما من ثقةٍ شديدةٍ، وحدَّث كل منهما الآخر عن دينه.
ولكن توطُّد هذه العلاقة جلب الكثير من الأقاويل حولهما، من أنهما يمارسان الدعوة إلى المسيحية ونشرها بين السكان..
ونظرًا لكثرة هذه الأقاويل استدعى الحاكم الاثنان، وبدأ باستجواب ليث علنًا.

الحاكم: أأنت على علم بما يقال عنك في الأنحاء؟

ليث: نعم سيدي، وأنا على استعداد تام لنفيه كيفما أردت.

الحاكم: لك خياران.. إما قتلك لهذا الكاهن الحقير أو اطلاعنا على أماكن معابدهم المتبقية.

ارتبك ليث ثم قرر..

في اللحظة التي كان قلب يوسف يتخبط.. ما بين قتله وانتهاك حرمة بيوت ربه.. نطق ليث أخيرًا!

٥

اختار الإفشاء بأماكن الأديرة، معلنًا العفو عن حياة يوسف، وبداية الهجوم القادم.

بات يوسف هذه الليلة وفي داخله صراع الغضب والراحة، فما زالت نار القهر تغلي داخله، والراحة تسري بجسده للعفو عن حياته، واحتار كيف يصنف صديقه، أخائنٌ هو أم وفيٌ؟

في الصباح التالي سمع صوت المطارق تضرب صفاح السيوف، ورأى كلٌ يجهز عتاده استعدادًا للهجوم القادم، وبالرغم من الندبة التي حُفرت على نفسيته إثر ما حدث بالأمس، إلا أنه معجبٌ لبسالة هؤلاء المحاربين وقوتهم، وراح عقله يقارن بين ضعف الرهبان وقوة هؤلاء، فهمس بداخل قلبه "أين أنت يا ربي؟" لعله يسمع جوابًا، لكن لا جواب..

اعتقد بأن هذا اختبار محض وعليه كبح الشكوك في نفسه، لكن لم يلبث إلا أن ضعف عندما استقل مركب الهجوم ليرشد الجنود على الأرض، لقد تهدَّم ما بداخله تجاه ربه الذي لا يجيبه.

لكن أين ليث من هذا؟ هو الآخر كان بدوامة الشك فيما يفعلونه

من تدمير وقتل، أمام سلام الكهنة الزهَّاد وإيمانهم، أمام الشك في آلهته التي صنعها بملئ كفيه، ولم يخرجه عن تفكيره هذا إلا صفعات رذاذ البحر على وجهه.

وصلوا إلى المعبد المرجو، وما إن هموا باقتحامه حتى تخرج عليهم كتائب حماية ضخمة، وفَّرتها الدولة للساحل بأكمله احتياطًا منذ آخر هجوم، ليعلو صوت قرقعة السيوف وتشابك الرماح، ورنَّ الدروع، حتى هدأ الحال ولم يبق إلا أنين الجرحى.

٦

جرح يوسف وتعرَّف عليه بعض الجنود المسيحيين ليؤخذ ويحاكم بالخيانة العظمى، وفي هذه الأثناء سلَّم ليث نفسه طالبًا العفو واللجوء واعدًا باعتناق أيما تسمى هذه الديانة.

اقتيد يوسف بجراحه أمام الملأ، وقد حكم عليه بالموت صلبًا، تحريرًا لآثامه بإرشاد الوثنيين للديار المسيحية، وإنكاره مخلصه، ضُربت المسامير الغليظة في باطن يديه ورفع الصليب، وردد صارخًا: "إن عشنا فللرب نعيش، وإن متنا فللرب نموت"! حتى خارت قواه وسكن، وراح يتسائل أيُ ربٍ هذا الذي لا يجيب عبده المظلوم في آخر لحظاته؟ وأنا الذي فديته بكل حياتي، حتى اشمئز من ذكر هذا الإله، واستسلم لأمره الواقع!

في هذه الأثناء كان ليث يُعمد، ويستلم كتابه المقدس، وصليبه، ولكي يثبت أمام أهل هذه البلاد أنه كفؤ لحمل ما سبق، قام بإخبارهم عن أماكن العرب الوثنيين!

بداخل ليث كان صراع، بين صوتٌ يؤنبه قائلًا: يا خائن، وآخر يطبطب على كتفه قائلًا: أحسنت لاستغلالك الفرص!

إضاءة

قد يرتاب المؤمن في إيمانه وعليه بالصبر لآخر المطاف، فإنَّ الدنيا تعرِّفُك على أُناس لم تكن تتوقع لتكون بقربهم، فاحذر مِمَن تتخذهم أصحابًا..

هيئة اليد العليا
UPPER HAND ORGANIZATION

© UPPER HAND ORGANIZATION (ALYAD ALULYA), 2018
ALL RIGHTS RESERVED

INFO@UHORG.COM
WWW.UHORG.COM

ضُربت المسامير الغليظة في باطن يديه ورفع الصليب، وردد صارخًا: "إن عشنا فللرب نعيش، وإن متنا فللرب نموت"! حتى خارت قواه وسكن، وراح يتسائل أيُ ربٍ هذا الذي لا يجيب عبده المظلوم في آخر لحظاته؟ وأنا الذي فديته بكل حياتي، حتى اشمئز من ذكر هذا الإله، واستسلم لأمره الواقع!

هيئة اليد العليا